الحرب ضد المخيمات

تهجير ١٥ الف فلسطيني والمنازل تحولت الى أنقاض

قاربت وسائل الاعلام، العربية والعالمية، الاجماع على استعمال مصطلح «حرب المخيمات»، لدى تناولها الحرب التي شُنّت ضد المخيمات الفلسطينية الثلاثة، في بيروت، صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة.

وبناء على قراءة متأنية، للمادة الاعلامية والسياسية الكبيرة، ذات المصادر العديدة والمتنوعة، التي توفرت عن هذه الحرب، يمكن القول ان الاصح، استعمال مصطلح «الحرب على المخيمات». واهمية هذا التمييز بين المصطلحين، ووجاهته ايضاً، سوف تتضحان في سياق هذا التقرير.

لم تكن هذه الحرب حجراً أُلقي في مياه ساكنة، ولا صاعقة نزلت من سماء صافية، بل صراعاً مريراً كان متوقعاً، وجرى الحديث عنه الى حد التطرق للتفاصيل. وعلى مدى شهور عديدة سبقت اندلاع هذا الصراع، نشرت صحف ومجلات عدة، عربية واجنبية، «سيناريوهات» مختلفة، قيل انها أُعدت، او يجري وضع اللمسات الاخيرة عليها، لتفجير هذا الصراع.

وازداد الحديث عن مصير المخيمات الفلسطينية في لبنان، بشكل واضح، بعد مصادقة الحكومة الاسرائيلية، وإقرارها، في مطلع السنة الجارية، الخطة التي اعدها وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين، والتي قضت، يومئذٍ، بسحب القوات الاسرائيلية من لبنان، على ثلاث مراحل.

وفي ذلك الوقت، جرى التركيز على مصير المخيمات الفلسطينية في جنوب لبنان، وخاصة مخيمي عين الحلوة والمية ومية، اللذين كانت تشملهما المرحلة الاولى من خطة الانسحاب الاسرائيلية. وفور إقرار خطة رابين، بعث رئيس اللجنة التنفيذية لـ م. ت. ف. ياسر عرفات، برسالة الى الامين العام للامم المتحدة، بيريز دي كويلار، اعرب فيها عن قلقه البالغ بشأن امن الفلسطينيين في مخيمات الجنوب اللبناني، مطالباً الامين العام للمنظمة الدولية بالعمل من اجل حماية هذه المخيمات، وبنشر قوات حفظ السلام الدولية التابعة للامم المتحدة لتوفير هذه الحماية.

وجاء في رسالة عرفات: «ان الامم المتحدة مسؤولة بالكامل عن توفير الحماية والامن للاجئين الفلسطينيين في جنوب لبنان، وخاصة على ضوء الذكرى الاليمة لمذابح مخيمي صبرا وشاتيلا الفلسطينيين في العام ١٩٨٢، والجرائم التي نفذت في مخيم عين الحلوة في العام ١٩٨٤» (**فلسطين الثورة**، ٢/٢/١٩٨٥).

وبرز الخلاف الفلسطيني ـ السوري، حول هذه القضية، منذ ذلك الوقت. فقد اعتبر الحكم السوري انه «حين يطالب ياسر عرفات الامم المتحدة بحماية المخيمات الفلسطينية في جنوب لبنان، في حال انسحاب القوات الاسرائيلية، فانما هو يقدم شهادة حسن سلوك للغزاة الصهيونيين، وكأنه، بهذا الطلب، يريد ان يوهم العالم بان لبنان وجيش لبنان وشعب لبنان يمثلون خطراً على الفلسطينيين، لا اسرائيل» (**الثورة**، دمشق، ١٩/١/١٩٨٤).

ولم يطل الوقت، حتى تدخلت الاحداث نفسها، لتثبت مشروعية المخاوف الفلسطينية. وفي شهر نيسان (ابريل) قامت ميليشيات «القوات اللبنانية» وما يسمى بـ «جيش لبنان الجنوبي»، بعمليات قصف مدفعي وصاروخي، متواصل ومكثف، على مخيمي عين الحلوة والمية ومية، تخللتها عدة محاولات لاقتحام المخيمين، ونجم عنها، فضلاً عن الخسائر البشرية والمادية الكبيرة، نزوح الغالبية العظمى من سكان المخيمين، نحو مدينة صيدا وضواحيها، ونحو مخيمات ومناطق لبنانية اخرى اكثر أمناً، او الى خارج لبنان.

اذاً، لم تكن المخاوف الفلسطينية مجرد تقديرات او احتمالات تنتظر حرباً ضد هذا المخيم الفلسطيني او ذاك، في لبنان، كي تكتسب مشروعيتها. ومصير المخيمات الفلسطينية، و«الوجود الفلسطيني» في لبنان، برمته، كان